

تفسير البحر المحيط

@ 94 @ .

إذا ذكرت عيني الزمان الذي مضى .

بصحراء فلج ظلتا تكفان .

فقال : ظلتا ولم يقل : ظلت تكف . وقرأ الباكون : يغشى بالياء ، حمله على لفظ النعاس .

{ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَزْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ }
ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ { قال
مكي : أجمع المفسرون على أن هذه الطائفة هم المنافقون ، وقالوا : غشي النعاس أهل
الإيمان والإخلاص ، فكان سبباً لأمنهم وثباتهم . وعرى منه أهل النفاق والشك ، فكان سبباً
لجزعهم وانكشافهم عن مراتبهم في مصافهم انتهى . .

ويقال : أهمني الشيء ، أي : كان من همي وقصدي . أي : مما أهتم به أو قصد . وأهمني الأمر
أقلقني وأدخلني في الهم ، أي الغم . فعلى هذا اختلف المفسرون في قد أهتمهم أنفسهم .
فقال قتادة والرَّبِيع وابن إسحاق وأكثرهم : هو بمعنى الغم ، والمعنى : أن نفوسهم
المريضة وطنونهم السيئة قد جلبت إليهم خوف القتل ، وهذا معنى قول الزمخشري : أو قد
أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الغموم والأشجان ، فهم في التشاكي . وقال بعض المفسرين :
هو مِنْ هَمٍّ بالشيء أراد فعله . والمعنى : أهتمهم أنفسهم المكاشفة ونبذ الدين . وهذا
القول من قال : قد قتل محمد فنلرجع إلى ديننا الأول ، ونحو هذا من الأقوال . وقال
الزمخشري في قوله : قد أهتمهم أنفسهم ، ما بهم إلا همٌّ أنفسهم ، لا هم الدِّين ، ولا هم
رسول الله صلى الله عليه وسلم) والمسلمين انتهى . فيكون من قولهم : أهمني الشيء أي : كان
من همي وإرادتي . والمعنى : أهتمهم خلاص أنفسهم خاصة ، أي : كان من همهم وإرادتهم خلاص
أنفسهم فقط ، ومن غير الحق يظنون أن الإسلام ليس بحق ، وأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
(يذهب ويزول . .

ومعنى ظن الجاهلية عند الجمهور : المدة الجاهلية القديمة قبل الإسلام ، كما قال : {
حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ { وَلَا تَذَرُ جَنْ تَذَرُ الْجَاهِلِيَّةِ } وكما
تقول : شعر الجاهلية . وقال ابن عباس : سمعت أبي في الجاهلية يقول : اسقنا كأساً
دهاقاً . وقال بعض المفسرين : المعنى ظن الفرقة الجاهلية ، والإشارة إلى أبي سفيان ومن
معه ، ونحا إلى هذا القول : قتادة والطبري . قال مقاتل : ظنوا أن أمره مضحل . وقال

الزجاج : إن مدّته قد انقضت . وقال الضحاك عن ابن عباس : ظنوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم) قد قتل . وقيل : ظن الجاهلية إبطال النبوءات والشرائع . وقيل : يأسهم من نصر الله وشكهم في سابق وعده بالنصرة . وقيل : يظنون أن الحق ما عليه الكفار ، فلذلك نصرّوا . وقيل : كذبوا بالقدر . قال الزمخشري : وطن الجاهلية كقولك : خاتم الجود ورجل صدق ، تريد الظن المختص بالملة الجاهلية . ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية ، أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله . انتهى وظاهر قوله : هل لنا من الأمر من شيء الاستفهام ؟ فقيل : سألو الرسول صلى الله عليه وسلم) ، هل لهم معاشر المسلمين من النصر والظهور على العدو شي أي نصيب ؟ وأجيبوا بقوله : { قُلْ إِنْ الْأُمَمُ رَكَدَتْ كُفَّتْ أَعْمَالُهُمْ } وهو النصر والغلبة . كتب الله لأغلبنا أنا ورسلي ، وأن جندنا لهم الغالبون . وقيل : المعنى ليس النصر لنا ، بل هو للمشركين . وقال قتادة وابن جريج : قيل لعبد الله بن أبي بن سلول : قتل بنو الخزرج ، فقال : وهل لنا من الأمر من شيء ؟ يريد : أن الرأي ليس لنا ، ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا ولم نخرج ولم يقتل أحد منا . وهذا منهم قول بأجلين . وذكر المهدوي وابن فورك : أن المعنى لسنا على حق في اتباع محمد . ويضعف هذا التأويل الرد عليهم بقوله : قل . فأفهم أن كلامهم إنما هو في معنى سوء الرأي في الخروج ، وأنه لو لم يخرج لم يقتل أحد . .

وعلى هذا المعنى وما قبله من قول قتادة وابن جريج يكون الاستفهام معناه النفي . ولما أكد في كلامهم بزيادة من في قوله : من شيء ، جاء الكلام مؤكداً بأنّ ، وبولغ في تأكيد العموم بقوله : كله . فكان الجواب أبلغ . .

والخطاب بقوله : قل ، متوجه إلى الرسول بلا خلاف .